الأزمات الاقتصادية في الدولة الاموية وأثرها على واردات بيت المال

أ . م . د عبيرعبد الرسول التميمي

جامعه كربلاء / كلية التربية للعلوم الإنسانية

لمياء موسى مدلول

ماجستير تاريخ اسلامي

الملخص :

يعد موضوع الأزمات الاقتصادية في العصر الاموي ، من المواضيع المهمة في التاريخ الاسلامي حيث استمرت لعقود طويلة وكانت نتائجها وخيمة على البلاد والعباد ،وذلك لعدة اسباب ، يأتي في مقدمتها : الفساد الاداري والمالي وظهور الملكيات الخاصة واندلاع الفتن والثورات، فضلا عن اسلام اهل الذمة واثره على اقتصاد الدولة، وهجرة الفلاحين الى الامصار ، وكان للاوبئة والكوارث الطبيعية مثل : الطواعين والافات الزراعية ومواسم القحط وهجوم الجراد وقد واجه العالم الإسلامي فيه أزمات اقتصاديَّة في ازمنة متعددة ، ان أثرت سلبا على مستوى الانتاج والايدي العاملة وكان ذلك ينعكس على واردات بيت المال ، كما بحثت الدولة عن الحلول إبَّان الأزمات الاقتصادية، الا ان الوسائل المتوافرة لمواجهة تلك الأزمات كانت محدودة، وسيطرة الإنسان على بيئته المناخيَّة وما يتعرَّض له من جفافٍ وقحط ، أو فيضانات وأوبئة وطواعين كانت قليلة نوعا ما ، فضلاً عن كثرة الحروب والفتن، وقلَّة التعاون بين الأمم والشعوب وصعوبته في ذلك العصر للتغلُّب على مثل تلك الكوارث والأزمات.

وقد حاولت الدولة الاموية وسعت بطرق ووسائل عدة للسيطرة والحد من هذه الازمات ، الا انها لم تكن في اغلب العهود حلولا ناجعة وجذرية ، لذلك نلحظ استمرار الازمات وتفاقمها سنة بعد اخرى وتناقص واردات بيت المال بصورة كبيرة ، خصوصا مع سوء السياسة المالية للدولة الاموية وعدم عدالة توزيعها للاموال واستئثارها للاموال العامة دون ايجاد طرقا خاصة للاستثمار والبناء والتنمية الاقتصادية المستديمة والاقتصاد المتوازن والمستقر.

Summary:

The issue of economic crises in the Umayyad era is one of the important topics in Islamic history, as it lasted for long decades and its consequences were disastrous for the country and its people, for several reasons.

Administrative and financial corruption, the emergence of private property, the outbreak of seditions and revolutions, as well as the Islam of the people

of the dhimma and its impact on the state's economy, the migration of farmers to the regions, and the epidemics and natural disasters such as: plagues, agricultural pests, seasons of drought and locust attacks, and the Islamic world faced economic crises in many periods. It negatively affected the level of production and manpower, and this was reflected in the imports of the treasury. The state also searched for solutions during the economic crises, but the means available to confront these crises were limited, and man's control over his climate environment.

The Umayyad state tried and sought in several ways and means to control and reduce these crises, but it was not in most epochs effective and radical solutions, so we notice the continuation of crises and their exacerbation year after year, especially with the poor financial policy of the Umayyad state and its unfair distribution of money and its stimulation of public funds without finding Special methods for investment, construction, sustainable economic development, and a balanced and stable economy.

المقدمة:-

الحمد الله رب العالمين والصلاة والسلام على الرسول الامين محمد صلى الله عليه واله وآله وصحبه المنتجبين .

يعد موضوع الأزمات الاقتصادية في العصر الاموي ، من المواضيع المهمة في التاريخ الاسلامي حيث استمرت لعقود طويلة وكانت نتائجها وخيمة على البلاد والعباد ،وذلك لاسباب عدة ، يأتي في مقدمتها : الفساد الاداري والمالي وظهور الملكيات الخاصة واندلاع الفتن والثورات، فضلا عن اسلام اهل الذمة واثره على اقتصاد الدولة، وهجرة الفلاحين الى الامصار ، وكان للاوبئة والكوارث الطبيعية مثل : الطواعين والافات الزراعية ومواسم القحط وهجوم الجراد وقد واجه العالم الإسلامي فيه أزمات اقتصاديَّة في فترات عديدة ، ان أثرت سلبا على مستوى الانتاج والايدي العاملة وكان ذلك ينعكس على واردات بيت المال ، كما بحثت الدولة عن الحلول إبَّان الأزمات الاقتصادية، الا ان الوسائل المتوافرة لمواجهة تلك الأزمات كانت محدودة، وسيطرة الإنسان على بيئته المناخيَّة وما يتعرَّض له من جفافٍ وقحط ، أو فيضانات وأوبئة وطواعين كانت قليلة نوعا ما ، فضلاً عن كثرة الحروب والفتن، وقلَّة التعاون بين الأمم والشعوب وصعوبته في ذلك العصر للتغلُّب على مثل تلك الكوارث والأزمات.

وقد اعتمدنا على عديد من المصادر والمراجع التي نقلت لنا الاحداث المهمة للأزمات الاقتصادية وتأثيرها الإجتماعي ، وتكون البحث من مقدمة ومبحثين وخاتمة، جاء في المبحث الاول : مفهوم الازمات لغة واصطلاحا ، والمبحث الثاني : الفساد الاداري والمالي واثره على مالية الدولة ، وفي المبحث الثالث : ظهور الملكيات الخاصة واثرها على بيت المال، والمبحث الرابع : الفتن والثورات واثرها على مالية الدولة،وتضمن المبحث الخامس : اسلام اهل الذمة واثره على اقتصاد الدولة، والمبحث السادس: هجرة الفلاحين الى الامصار ، واخيرا المبحث السابع : الكوارث الطبيعية والاوبئة وتأثيرها على واردات بيت المال ، وخاتمة .

وفي الختام نسال الله العليم القدير التوفيق وحفظ الاسلام واهله ، والحمد لله رب العالمين .

المبحث الاول : تعريف الأزمة(لغة ، واصطلاحا):-

تعرف الأزمة لغة : بإنها الشدة والضيق ، من ازم ، اي ازم عليهم العام والدهر ازما وازوما ، اي اشتد قحطه وقل خيره ، وازمة اي مجدبة شديدة الجدب والمحل ، وقيل اذا ازمت بهم سنة ازوم الأزمة، اي الشدة والقحط ، ومنه القول الماثور اشتدي ازمة تنفرجي .[١]

اما الأزمة اصطلاحاً: فقد تطور مفهوم الأزمة بتقدم الزمن واخذ بالاتساع فاصبح بمرور الوقت يعطي دلالات اعمق الا ان اختلاف المسبب لها يجعل تعريفها يختلف من عالم ا لى اخر فكل عالم يعرف الأزمة بحسب وجهه نظره لها فتعريف السياسي يختلف عن ماهو عند علماء الاقتصاد والاجتماع او الاداريين وغيرهم[٢]،و قد عرفت : بإنها مجموعة من الظروف والاحداث المفاجئة التي تنطوي على تهديد واضح للوضع الراهن المستقر في طبيعة الاشياء وبذلك فهي النقطة الحرجة التي يتحدد عندها مصير جماعة او أمة بإكملها، ليصبح الظرف انتقاليا فاقدا للتوازن [٣]، ويمثل نقطة التحول الذي تحدد في ضوءها احداث المستقبل التي تؤدي الى تغيير جذري كبير.[٤]

ان الأزمة وليدة الظرف والمحيط التي تنشأ فيه فمن الصعوبة حصر الأزمة بتعريف شمولي واحد يتفق مع كل الظروف والاحوال التي تنشأ فيه ، لذا نجد ان تعريفها له مدلولاته تبعا لتطور العصور وتغير العوامل المؤثره في نشوء الأزمة .[٥]

وتعرف الأزمة : بإنها الاضطراب الذي يطرأ على التوازن الاقتصادي الذي ينشأ عادة بسبب اختلال التوازن بين الانتاج والاستهلاك ،وعرفت ايضا :بانها الاضطراب الشديد في تدبير الامور المالية للدولة الذي يحتاج الى بذل جهد وتسخير الطاقات لازالته واعادته الى الاستقامة ، وليس المقصود منها ذلك الخلل البسيط في الامور المالية الذي يمكن معالجته بالوسائل البسيطة وبالطرق اليسيرة ، وعليه يمكن تعريفها اجرائيا : بإنها الخلل الذي يصيب الهيكل الاقتصادي للدولة بسبب عوامل طبيعية او بشرية ، وينعكس اثره على الدولة والفرد ويحتاج الى معالجة فورية للتخفيف من اثاره .[٦]

ان الازمات المالية وعواملها المؤثرة على خزينه بيت المال التي عصفت الدولة الاموية كان لها اسباب وعلل ماضية ،فقد كانت موجودة منذ مدة مبكرة ، وذلك لان اموال الفيء الذي كان يغذي بيت المال ، كان مهدداً بالتراجع بسبب طبيعة النظام الاسلامي ، والادارة الدولة ،

---

[١] – الفيروزالابادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط ، مصر، دار الجبل ، ١٩٥٢ ، ج ٤ ، ص ٧٥.

[٢] – ابن منظور ، ابو الفضل جمال الدين ، لسان العرب ، بيروت ، دار صادر ، ج ١٢ ، ص ١٦ . ؛ الزبيدي ، محمد مرتضى ، تاج العروس من جواهر القاموس ، بيروت ، دار مكتبه الحياة ، ج ١٨ ، ص ١٨٥.

[٣] – الفيروزالابادي ، القاموس المحيط ، ج ٤ ، ص٧٥.

[٤] –ابن فارس ، احمد بن زكريا ، معجم مقاييس اللغه ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ، دار الفكر العربي ، ١٩٧٩ ، ج١ ، ص٩٨ .

[٥] – الرازي ، محمد بن ابي بكر(ت ٦٦٦هـ) مختار الصحاح ، تحقيق : محمد خاطر، ، مصر ، الهيئه المصريه للكتاب ، ١٩٧٦ ، ص ١٥ .

[٦] – الرازي ، مختار الصحاح، ص ١٥ .

كما ان اعتماد نفقات بيت المال او ديوان الجند (العطاء) على مال الفيء المتحصل من الضرائب المفروضة على البلاد المفتوحة كان يخلق مشكلة شبه دائمة لدى الجهاز الاداري والمالي ، من اجل التوفيق او الموازنة بين مال الفيء ونفقات الدولة ، فبينما كانت النفقات الثابتة في ازدياد وذلك نتيجه لاستمرار الهجرة العربية ودعوة الخلافة اليها ، وكذلك هجرة الموالي، لذا كان مال الفيء متذبذباً وفي حالة تناقص مستمر .[١]

المبحث الثاني : الفساد الاداري والمالي واثره على مالية الدولة :-

تشكل الاختلاسات احدى ابرز صور الفساد المالي، والذي كشفت عنه المصادر منذ فتره مبكرة من تاريخ الاسلام ،فمنذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب كان بعض الولاة يختانون في اموال الدولة فيختلسون ماستطاعوا من اموال الفيء ،وقد اشتملت القصيدة التي بعث بها ابن الصعق (يزيد بن عمرو)[٢] كثيرا من اسماء الولاة والعمال المتورطين في عمليات اختلاس للاموال العامة للدولة .[٣]

عبر تتبع الاسماء الواردة في القصيدة نجد انهم كانوا ، اما عمالا على بيوت الاموال او ولاة على بعض الاقاليم او موظفين عينتهم الدولة على بعض الوظائف المالية ، مثل : جباية االعشور وجمع المغانم والصدقات ، فمن هذه الشخصيات التي فضحتها القصيدة : ابو بكرة[٤] ، وكان على بيت المال وعشور الأبله ، والحجاج بن عتيك الثقفي[٥] ، وكان على الفرات وبشر بن المحتفز[٦] وكان على جند سابور.[٧]

---

[١] – جودت ، جمال ، الفيء بين الصلح والعنوه في صدر الاسلام ، مجله النجاح للابحاث ، جامعه النجاح الوطنيه ، نابلس ، فلسطين ، عدد ٩ ، ١٩٩٥ ، ص١٣ .

[٢] - (الصعق) : يزيد بن عمرو بن خويلد بن نفيل بن عمرو الكلابي، فارس جاهلي من الشعراء وله أخبار. استنجده من مرداس بن أبي عامر على جماعة من كلاب سلبوه مئة ناقة، فركب حتى أخذ الإبل وردها إليه،وكان أعرج، طعنه (العمرد) فأعرجه. ومما يقال في تلقيب جده بالصعق: أنه أخذ طعاماً لقومه في الموسم بعكاظ، فهبت ريح ألقت في التراب، فلعنها، فأصابته صاعقة فمات.الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج٢،ص٣١٥.

[٣] – جودت، الفيء ، ص١٤٨ .

[٤] –أبو بكرة الثقفي : الطائفي مولى النبي ﷺ اسمه نفيع بن الحارث وقيل نفيع بن مسروح تدلى في حصار الطائف ببكرة وفر إلى النبي ﷺ وأسلم على يده وأعلمه أنه عبد فأعتقه، سكن البصرة وكان من فقهاء الصحابة ووفد على معاوية وأمه سمية فهو أخو زياد بن أبيه لأمه.الذهبي ، سير اعلام النبلاء ،ج٣،ص٦.

[٥] – لا توجد له ترجمة في كتب التراجم .

[٦] -بشر بن المحتفز: بشر بن عائذ بن المحتفز الهذلي البصري المنقري ، عاش في البصرة ، صدوق حسن الحديث . الذهبي ، سير اعلام النبلاء ،ج٢،ص١١٣.

[٧] – جودت، الفيء ، ص٣٨٦ .

وان بعض العمال عندما احسوا برجحان كفة معاوية نتيجة سياسة المكر والخداع، اختلسوا من اعمالهم الاموال وهربوا الى معاوية ومن هؤلاء: مصقلة بن هبيرة[١] عامله على الاهواز[٢]، ويزيد بن حجيه التميمي[٣] عامله على الري ، ودستبي[٤]، وعبد الله بن سوار بن همام العبدي عامله على البحرين[٥]،وعبد الله بن عباس ، الذي اختلس من بيت مال البصرة عشرة الاف درهم قبل ان يرحل عنها .[٦]

اختلاسات في عصر الحكم الاموي ، فقد اختلس عبد الرحمن بن زياد[٧] عامل معاوية على خراسان مبلغا كان يكفي على حد قوله ان : ((اعيش مائة سنة وانفق كل يوم الف درهم)) .[٨]

---

[١] – مصقلة بن هبيرة : بن شبل بن يثربي بن امرئ القيس الشيباني ، شغل بعض المناصب في خلافة معاوية وشهد على حجر بن عدي حين أراد معاوية قتله، ولما استقر الأمر لمعاوية جهزه في عشرة آلاف مقاتل (ويقال في عشرين ألفا) وولاه طبرستان (قبل فتحها) فتوجه إليها، وتوغل في بلادها ومضايقها، فبينما هو عائد يجتاز بعض عقباتها تسلط عليه العدوّ، فقذفوه بالحجارة وبالصخور من الجبال، فقتل سنة ٥٠هـ، وهلك أكثر من معه. تاريخ دمشق، ابن عساكر، ج ٥٨،ص ٢٦٩.

[٢]– الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٣ ، ص ١٤٥ –١٤٦ .

[٣] –يزيد بن حجيه التيمي: بن عمرو بن عبدالله بن عائذ بن ثعلبة بن الحارث بن تيم الله بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، فارس، شهد صفّين، وهو من العشرة الذين وافقوا وشهدوا في صحيفة التحكيم، بعد رفع أصحاب معاوية المصاحف، ثم ساند الخوارج ولحق بمعاوية. الطبري ،تاريخ الرسل والملوك،ج ٦،ص ٣٠؛ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ،ج٣،ص ٢٨٧.

[٤] – ابن الاثير ، الكامل في التاريخ، ج٣ ، ص ٢٨٧ –٢٨٨ .

[٥] – العسكري ، الحسن بن عبد الله بن سهل (ت ٣٩٥ هـ) الاوائل ، تحقيق عبد الرزاق غالب مهدي،ط١ ، دار الكتب العلميه ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٧ ، ص ٢٠٨ –٢٠٩ .

[٦] – اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي، ج٢ ، ص ٢٠٦ .

[٧] – عبد الرحمن بن زياد ، بن أبي سفيان وهو أخو عبيد الله بن زياد ، في سنة ٥٩هـ عزل معاوية سعيد بن عثمان عن خراسان، وولى عليها عبد الرحمن بن زياد، فصار عبيد الله واليا على البصرة، وعبد الرحمن واليا على خراسان ،ولم يزل عبد الرحمن واليا على خراسان إلى زمن يزيد بن معاوية ،فقدم إليه فخيره بين بقائه أو عزله فعزله وول غيره ، وكان عبد الرحمن حريصا ضعيفا لم يغز غزوة واحدة.الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج٦، ص٤١٢.

[٨] – الجهشياري ، الوزراء ،ص٢٩ .

كما اختلس كثير بن شهاب المذحجي[١] عامل معاوية على خراسان اموالا كثيره [٢]، وكذلك بعض هذه الاختلاسات وصلت الى مقادير هائلة فقد جنى عبيد الله بن ابي بكره[٣] من امارته على اصفهان اربعين مليون درهم .[٤]

ويبدو ان عملية الاختلاس والاختيان اصبحت تشكل ازمة في زمن يزيد بن معاويه[٥]، فقد اختلس جزء عامله على الفرات ابن زياد مائه الف درهم [٦]، كما ان ابن زياد نفسه استولى على ما كان في بيت مال الكوفة ويقدر بثمانية ملايين درهم حينما اضطربت الامور بعد وفاه يزيد بن معاوية وامر بنقل المال حين هرب فكان يتردد في آل زياد .[٧]

وظهر ان اضطراب الامور وانتشار الفوضى في تلك الاثناء ادى الى استخدام اسلوب جديد من اساليب الاختلاس والاختيان من قبل الولاة والعمال في هذه المرحلة الزمنية ، وهو بيع ممتلكات الدولة من طعام وغيره ، كما اثارت هذه الوسيلة الشعراء فنظموا العديد من القصائد ، ثم مضوا في تعداد الولاة والموظفين الذين يتهمونهم ويختموها طالبا الى ابن الزبير لايقاع اشد العقوبات في حق هؤلاء ، ومن غير المعلوم ماذا كان هؤلاء الموظفين الذين ذكرهم الشاعر قد اختانوا من بيع طعام الارض الذي تحصله الدولة من الضرائب العينية ، ام من بيع منتوج اراضي الصوافي التي كانت محاصيلها ملكا للدولة، وعلى ايه حال فقد كان مالا عاما تعود ملكيته لعامة المسلمين .[٨]

---

[١] –كثير بن شهاب المذحجي ، من ولد انس بن سعد العشيرة أبو الحسن القزويني روى عن محمد بن سعيد بن سابق وعبد الله بن الجراح القهستاني والحسن ابن محمد الطنافسى كتبت عنه بقزوين وهو صدوق. الطبري ،تاريخ الرسل والملوك،ج ٦،ص ٣٣.

[٢] – ابن عبد ربه ، شهاب الدين (٣٢٨ هـ) العقد الفريد، تحقيق : محمد عبد القادر شاهين ، ط٢، المكتبة العصريه ، صيدا ، بيروت ، ١٩٩٩ ج١ ، ص ١٠٦ .

[٣] – عبيد الله بن أبي بكرة الثقفي من أبناء الصحابة ، ولي قضاء البصرة وولي إمرة سجستان سنة ٥٠هـ ثم عزل بعد ثلاث سنين، ثم وليها الحجاج ، ولاّه الحجاج بن يوسف الثقفي سجستان فغزا رتبيل قائد الترك عام ٧٩ هـ (حوالي ٦٩٨م) لامتناعه عن دفع الخراج، فهزمه رتبيل، فافتدى ابن أبي بكرة نفسه، ومن معه من المسلمين بمال، ومات متحسراً سنة ٧٩ هـ.ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ،ج١٠، ص٢٩٦.

[٤] – الاصبهاني ، اخبار ، ج٢ ، ص ٩٩ .

[٥] – الخطيب ، البغدادي ابو بكر احمد بن علي (٤٦٣هـ) ، تاريخ بغداد دار الفكر ومكتبه الخانجي ، القاهره ، مصر ، (د. ط)، ج٣ ، ص ١٧٦ .

[٦] – ياقوت ، الحموي ، شهاب الدين ابو عبد الله (ت٦٢٦ هـ) معجم البلدان ، ط٢ ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٥، ج ٣ ،ص ٢١٤ .

[٧] – البلاذري ، انساب ، ج٥ ، ص ٤٠٥ .

[٨] – الطبري ، تاريخ الرسل والملوك، ج ٣ ، ص ٣٧٨.

ويبدو ان مجالات الاستغلال والاختيان امام الولاة والعمال وسائر موظفي الدولة كانت محدوده نسبيا في العهد المرواني (٦٤هـ - ١٣٢ه /٦٨٥م - ٧٥٠م) ، نظرا لكونهم عرضه لاشراف الامير، الا ان هذا الحال وهذه الرقابة لم تستمر طويلا فسرعان ما عاد الوضع لما هو عليه مع ضعف الدولة المركزية وعدم أهلية وكفاءة من يصلون للمراتب العليا في الدولة ، فقد اخذ الناس بالتوجه للحصول على الوظائف لما يرون فيها من مصادر للربح واجتباء الاموال ، سيما وانهم كانوا يدركون قيمة السياسة والادارة في كسب الاموال وتحسين اوضاعهم ، وفقا للحالة السائدة والمخالفة لتعاليم واحكام الاقتصاد الاسلامي وفلسفته العادلة ، فقيل: ((حبذا الامارة ولو على الحجارة)) .[١]

وفي الوقت نفسة فإن حجم عمليات الاختلاس واتساع نطاقها وشمولها مختلف الولايات كان يفاقم حده الأزمة الاقتصاديه التي كانت تهدد بيت المال اصلا ، ومما لاشك فيه ان شعور الدولة بخطورة هذه الظاهرة على ماليتها كان يحتم عليها الضرب على ايدي المختانين ومعاقبتهم دون الالتفات الى مراكزهم الاجتماعية والقبلية ، بعد ان ادركت سوء الاوضاع وخطورتها البالغة.[٢]

فانشأت لذلك دار اسمتها دار الاستخراج تنحصر مهمتها في تعذيب العمال المتورطين في عمليات الاختيان واختلاس بيت المال العام وكانت تستخدم في هذه الدار صنوف من العذاب مشهورة بشدتها ، وذلك بهدف مصادرة الاموال المسروقة المختلسة وارجاعها، وفي الوقت ذاته استغلت الدولة ضرب الثوار والمعارضة بالحجة الاقتصادية ذاتها ، فقد صودرت اموال الخارجين عن الدولة والذين أشتبه بمساعدتهم للثائرين ، فضلا عن ما لاقوه الفلاحين من تعذيب هؤلاء الذين رفضوا او تهربوا من دفع مما عليهم من ضرائب ، وقد استمر هذا الجهاز قائما حتى نهاية الدولة الاموية، وتحول اسمه الى ديوان المصادرين في عهد بني العباس .[٣]

وعندما جاء عمر بن عبد العزيز الى الحكم اخذت هذه الظاهرة مداها الكبير وانتشرت بصورة واسعة الامر الذي دفعه الى محاولة تطبيق خطة اصلاحية، من اجل القضاء على مظاهر الفساد المالي والاداري المستشري في الدولة ، غير ان نوايا الخليفة قد اصطدمت بالواقع السيء، بالاضافة الى قصر مدة خلافة التي يبدو انها لم تساعده في تطبيق خطته الاصلاحية كما كان يأمل، فعادت الامور بعد وفاته الى ما كانت عليه من الفساد ، ومن تلك الاختلاسات والسرقات فان عمر

بن هبيرة [٤] ، والي العراق في عهد يزيد بن عبد الملك(١٠١ه- ١٠٥ه/

---

[١] – البلاذري ، انساب ، ج٦ ، ص ٣٥٤ .

[٢] – العلي ، التنظيمات ، ص ١٩٩

[٣] – ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٢ ، ص ٣٢ .

[٤] – عمر بن هبيرة : ابن معاوية بن سكين ، الأمير ، أبو المثنى ، الفزاري الشامي ، أمير العراقين ووالد أميرها يزيد ، كان ينوب ليزيد بن عبد الملك فعزله هشام ، وقد ولي غزو البحر سنة سبع نوبة قسطنطينية ، وجمعت له العراق في سنة ثلاث ومائة ، ثم عزل بخالد القسري ، فقيده وألبسه عباءة وسجنه ، فتحيل غلمانه ونقبوا سربا أخرجوه منه ، فهرب واستجار بالأمير مسلمة بن عبد الملك ، فأجاره ، ثم لم يلبث أن مات سنة سبع ومائة تقريبا .الذهبي ، سير اعلام النبلاء ،ج٤، ص٥٦٢.

٧١٩-٧٢٤م)، اخذ اموالا كثيرة ، كما اختلس سعيد بن عمر الحرشي[١] عامل بن هبيره على خراسان اموال الفيء ،وكذلك فعل نميله بن مره [٢] حينما اختلس خمسمائه الف اثناء ولايته على كرمان من قبل يوسف بن عمر.[٣]

المبحث الثالث: ظهور الملكيات الخاصة واثرها على بيت المال :-

ويعد عامل الاختلاسات والسرقات الحكومية ، من اهم العوامل التي أدت في خفض نسبه الوارد الى بيت المال عبر القرن الاول الهجري ، وقد بدأت اثار ذلك تتضح منذ نهايات القرن، وتعود جذور هذه المشكلة الى تاريخ مبكر في الاسلام ، وذلك منذ ان سمحت االخلافة بظهور الملكيات العربية الخاصة، وتوسيعها على حساب اراضي الفيء (اراضي الخراج)، وقد كان لنمو الغير طبيعي لهذه الملكيات طرق كثيرة منها : الشراء او الاقطاع او الإلجاء او الغصب او عن طريق وراثة الولاء ، وقد كان مثل هذا النوع من الاراضي يعفى من ضريبة الخراج بفعل امتلاك العرب لها ، مما أضر بالتالي بمقادير مال الفيء .[٤]

ولما كان لظهور الملكيات العربية الخاصة طرق كثيرة ، فإن إبرز هذه الطرق على مايبدو كانت عمليات البيع والشراء ويتضح من ذلك كراهية بعض الفقهاء لشراء ارض الخراج .[٥]

ولكن على الرغم من ذلك فإننا نلمس تهاون مؤسسة الخلافة حيال هذه المسالة ، حيث يقف الخلفاء الامويين امام ازمة شراء الارض الخراجية من قبل العرب، بل أبيح شراؤهم لها اذ تشير الروايات الى شراء بعض العرب للاراضي الخراجية .[٦]

اما الروايات التي ذكرت منع او كراهية شراء الارض الخراجية فانها لا تنفي ، وقوع البيع والشراء فعلا فقد ذكر رأيه في شراء الارض الخراجية ولم يحرمها ، في الوقت الذي لم يعترف بصحة وقوع العقد شرعا ، وقال: ((ما قول انه ربا ولا اقر به)).[٧]

كما يفهم من بعض الروايات ما يؤكد على معارضه كثير من الفقهاء للتوجه الذي كان سائدا نحو اباحة شراء الارض الخراجية وسعيهم لحل هذه الأزمة المالية وذلك بالتأكيد على عدم جواز تحويل الارض الخراجية الى عشرية ، ولعل هذه الاراء تعبر عن القاعدة التي استقرت في اواخر القرن الاول الهجري نظرا لتقديم حلولا جذرية وذلك بإن من يملك ارضا خراجية يدفع خراجها بغض النظر عن دينه او اصله ، وذلك بعد ان قل وارد بيت المال بفعل

---

[١] –

[٢] – نميلة بن مرة : بن عبد العزى بن بشر بن أوس بن ملادس بن عبشمس، صاحب شرط البصرة أيام إبراهيم بن عبد الله بن حسن، ثم صار في صحابة أبي جعفر المنصور العباسي .ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٠، ص٩١.

[٣] – الجاحظ ، عمرو بن بحر (٢٥٥هـ) ، البيان والتبيين ، دار الكتب العلميه ، بيروت ، لبنان ، ج ٣ ، ص ١٧٧ –١٧٨.

[٤] – جوده ، الفيء ، ص١٤ .

[٥] – الطوسي ، الاستبصار ،ج٣،ص١٠٩.

[٦] – جوده ، الفيء ، ص١٤ .

[٧] – جوده ، الفيء ، ص١٤ .

كثرة عمليات البيع والشراء [١]، ولاجل معالجة تداعيات هذه المشكلة على بيت المال نرى الحجاج يفرض الخراج على بعض الملكيات العربية التي هي في الاصل خراجية فذكر القرشي[٢]: ((وبالفرات ارضون اسلم اهلها عليها حين دخلها المسلمون وارضون خرجت من ايدي اهلها الى قوم مسلمين بهبات وغيرذلك من اسباب الملك فاصبحت عشرية وكانت خراجية فردها الحجاج الى الخراج))، ولعل نقص وارد العراق في ايامه وثوره اهل العراق عليه جعله يضطر الى فرض الخراج عليها وربما اراد وقف شراء الارض الخراجية لانها تتحول الى عشرية .[٣]

ويبدو ان هذه المشكله قد تفاقمت حتى بلغت اوجها في خلافه عمر بن عبد العزيز حيث ينسب اليه عده اجراءات في محاوله منه لتطويق المشكله ومعالجتها فقام بارجاع الملكيات العربية التي فرض الحجاج الخراج عليها الى العشر[٤]، وامر بمنع بيع الارض الخراجية، وبين ان من يمتلك ارضا خراجية يدفع عنها الخراج ، ويبدو ان لاجراءات عمر دلالاتها الخاصة فهي تشير الى ازياد انتشار الاسلام من جهه والى كثرة الارض الخراجية التي انتقلت الى العرب المسلمين وصارت عشرية من جهه اخرى ، والملاحظ ان قرار عمر لم ينفذ بعده كما يجب واستمر العرب المسلمين على شراء الارض الخراجية وتحويلها الى عشرية .[٥]

ويشكل الاقطاع احد ابرز الاسباب الهامة التي ادت الى تشكيل الملكيات العربيه الخاصة، وتعود جذور الاقطاع الى عهد ما قبل العهد الاموي، اما في العصر الاموي فقد حصل توسع في منح الاقطاعات في خلافة معاوية سواء على يده او على يد عماله وولاته .[٦]

كما اقطع عبد الملك (٢٦ هـ - ٨٦ هـ / ٦٤٦ - ٧٠٥م)، والحجاج (٤٠ - ٩٥ هـ / ٦٦٠ - ٧١٤ م)، اقطاعات لانصارهم ومؤيديهم ، وكذلك فعل الخلفاء الامويون الذين جاءوا بعد ذلك ، ومن الواضح ان الاقطاعات المذكورة كانت من الصوافي ومن الارض الموات على ايدي الخلفاء والامراء ، وقد ازدادت ظاهرة نشوء الملكيات الخاصة في ايام ثورة ابن الاشعث (٨٢هـ/٧٨٠١م) فقد قامت القبائل بإحراق ديوان الصوافي ، وضاعت الحسابات فأخذ كل قوم ما يليهم .[٧]

---

[١] –

[٢] – القرشي ، الخراج ، ص ٥٨ .

[٣] – السرخسي، شمس الدين محمد بن احمد (ت ٤٩٠ هـ) المبسوط ، مراجعه وتعليق سهيل الكيالي ، ط١، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ج ٣ ، ص ٥ .

[٤] – ابن عساكر ، ابو القاسم علي بن الحسن (٥٧١هـ) تاريخ مدينه دمشق ، تحقيق محب الدين العمروي ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، (د. ط)، ١٩٩٥ ، ج٢ ، ص٢٠٧

[٥] – البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٦١ .

[٦] – جودة ، العرب ، ص ٢٣٥ .

[٧] – ابن قدامه، ابو الفرج البغدادي ، (٣٢٨ هـ) الخراج وصناعه الكتابه ، تحقيق : محمد حسين الزبيدي ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، العراق ، ١٩٨١ ، ص ٢١٧ .

وكان الالجاء من اسباب تكون الملكيات العربية الخاصة، وقد وردت امثلة له من عهد بني امية، فمنها : ان الناس الجأوا الى مسلمة بن عبد الملك[١] ضياعا كثيرة في منطقة البطائح للتعزز به .[٢]

والجأ اهل المراغة احدى قرى اذربيجان ارضهم الى مروان بن محمد ، وكذلك الجأ كثير من العجم في اذربيجان قراهم الى العرب الذين نزلوا بتلك الولاية للخفاره ، وصار اهلها مزارعين لهم ، وعلى الرغم من قلة هذه الامثلة ، الا ان ذلك لا يمنع حدوث غيرها ، كما ان قلتها تظهر ان الإلجاء لم يكن واسعا نهاية الحكم الاموي، ويبدو ان بعض الناس كانوا يرثون بعض الاراضي من مواليهم ، وان مولاه ابو الاسود الدؤلي ماتت وكان لها ضيعه يتولاها عبدا لها فورثها ابو الاسود ، وطرد العبد الذي كان يتولى الضيعة، واخذها له كما كان التسلط والغصب والنفوذ والاستغلال سبيلا الى التملك خاصة للعمال والمتنفذين وذوي الصلة بالخليفة .[٣]

وعلى اي حال فقد كان لظهور الملكيات العربية الخاصة في زمن الراشدين وتوسعها ونموها في زمن الامويين اثارا خطرة على بيت المال ، ذلك ان اول ما يلاحظ على هذه الملكيات انها ساعدت على احداث ازمة كبيرة للخزينة ، ومن الممكن توضيح ذلك من خلال الاعتماد على ان مؤسسة بيت المال كان يستند اساسا الى موردين هامين ، هما الجزية والخراج ، وقد نقص وارد الجزية ، بفعل انتشار الاسلام بين اهل الذمة ، بالاضافة الى ان وارد الخراج قد بدأ يتناقص ويتراجع نتيجه انتقال الارض الخراجية الى العرب ، وتحولها بإيديهم الى ملكيات معفاه تماما من ضريبة الخراج واقتصارهم على دفع العشر، ((واذا كانت ضريبة الارض العشرية تبلغ ١٠% من الحاصل فان ضريبة الارض الخراجية لاتقل عن الربع وقد تصل الى (٤٠-٥٠ %) منه ، وهكذا ندرك تماما مقدار الخساره والضرر الذي بدأ يصيب بيت المال وازدياد حدته مع مرور الوقت .[٤]

وامام هذه التحديات كان لابد للدولة من إعادة رسم سياستها من جديد ، فقامت بإجراءات إصلاحية تهدف الى انقاذ الوضع المتدهور لمؤسستها المالية، فعملت على وقف الاقطاعات من ارض الصوافي ، وحاولت اقطاعها على سبيل الاستغلال فقط ، ويتضح ذلك من رسالة عمر بن عبد العزيز الى احد عماله بشإن ارض الصوافي ،حيث كتب له قائلا : ((انظر ماقبلكم من ارض الصافيه فإعطوها بالمزارعة بالنصف، ومالم تزرع فإعطوها بالثلث ، فان لم تزرع

---

[١] – مسلمة بن عبد الملك : أبو سعيد مَسْلَمة بن عبد الملك بن مروان بن الحَكَم بن أبي العاص بن أمية الأُموي القُرشي (٦٦ هـ–٦٨٥ م/٧ محرم، ١٢١ هـ–٢٤ ديسمبر، ٧٣٨ م)، هو أمير أُموي، وقائد عسكري، ووالي، وسياسي ورجل دولة. برز ما بين عام ٨٦ هـ–٧٠٥ م وعام ١٢١ هـ–٧٣٨ م بخوضه الكثير من المعارك والغزوات والحملات العسكرية على كُلٍّ مِن الإمبراطورية الروميَّة البيزنطيَّة. الطبري ،تاريخ الرسل والملوك، ج ٣ ص ٦٦٧؛ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٢٣٨.

[٢] – البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٩٢ .

[٣] – جوده ، مقدمه في الاقتصاد العربي ، ص ٢٧ .

[٤] – الدوري ، مقدمه في التاريخ الاقتصادي العربي ، ص ٢٧ .

فإعطوها حتى تبلغ العشر فان لم يزرعها احد فامنحها ، فان لم يزرع فإنفق عليها من بيت مال المسلمين ولا تبتزن قبلك ارضاً)) .[١]

كما قامت الدولة بايقاف اقطاعاتها باراضي اهل الذمة وعقاراتهم ، فقد رد الحجاج اراض عشرية في العراق الى الخراج ، وذكر ابن عساكر[٢] ان الناس سألوا عبد الملك بن مروان بعد نفاذ ارض الصوافي ان يقطعهم ارضا من ارض الخراج فأبى عليهم ذلك ، واقطعهم ارضا خراجية قد باد اهلها ، كما نهى علماء الامة من شراء المسلمين لارض اهل الذمة وتذكيرهم بصغار الخراج ، مما يشعرنا بوقوف العلماء الى جانب الدولة في هذا الموضوع .

كما قامت الدولة بمحاربه تصرفات المتنفذين من رجال الاسره الامويه واتباعهم من القاده والعمال التي تمثلت بعمليات غصب او استغلال او تزوير لوثائق ملكيات الاراضي لاهل الذمه او الجائها اليهم ثم وقفت اخيرا ضد عمليات شراء الارض شيئا في محاوله لوقف شرائها .[٣]

وعلى الرغم من ان هذه الاجراءات الاصلاحية لم تتم مرة واحدة ، الا انها شكلت مجتمعة ، ومع مرور الوقت مجموعة اجراءات اصلاحية ، كان هدفها المحافظة على هذه الاراضي من ظهور الملكيات العربية الخاصة على حسابها ، الامر الذي وضع حد في النهاية من مقدرة العرب على تكوين اقطاعيات كبيرة ووضع حد ايضا _ الى حد ما _ من التاثيرات السلبية لتحول الاراضي الخراجية الى عشرية على خزينة بيت المال[٤]،هذا وفقا للسياسة الاقتصادية في العهد الاموي .

المبحث الرابع : الفتن والثورات واثرها على مالية الدولة:-

ان المتتبع لتفاصيل الوقائع والحوادث التي عصفت بدولة الخلافة عبر القرن الاول الهجري وماتلاه الى نهاية الحكم الاموي ، يستخلص الاثار السيئة التي تركتها الفتن الثورات على مالية الدولة طوال تلك المدة ، وعلى الرغم مما كان يتخللها من فترات الاستقرار والسلم في بعض الاحيان .[٥]

ويمثل الاضطراب السياسي والاقتصادي في عهد عثمان بن عفان ، وحصار الخليفة ومقتله اول مقدماتها ، وقد اعقب هذا الحدث سنوات من الحروب الداخلية وعدم الانصياع لاوامر الامام علي عليه السلام من قبل بعض الولاة وعلى رأسهم معاوية ، وخروج الخوارج والفتن التي لحقتها من حرب البصرة ، وتوقف الفتوحات التي كانت تشكل انذاك موردا رئيسا من موارد بيت المال بما تضمنته من غنائم وفيرة[٦]، لمدة تقرب من الخمس سنوات ، اثر بالتأكيد على مالية الدولة كونها لا تعتمد الا على استحصال الاموال بغض النظر عن تسهيل وتشجيع الانشطة الاقتصادية الاخرى والتي بدورها تحرك السوق وتنشطه الى ابعاد كبيرة ، فضلا عن سوء الجمع والتوزيع لهذه الموارد حال دون نماء المال ووفرته واستقرار الاوضاع السياسية واستقلالها ، لذلك

---

[١] – القرشي ، الخراج ، ص ٦٣ .

[٢] – ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢ ، ص ٢٠٦ .

[٣] – جوده ، الفيء ، ص ٢٣ .

[٤] – جوده ، الفيء، ص ٢٥.

[٥] – البلاذري ، انساب ، ج٩ ، ص ١١٤ .

[٦] –ابن مزاحم ، نصر بن مزاحم المنقري (ت٢١٢هـ) ، وقعه صفين ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان، ١٩٩٠ ، ص٣٧ .

تعرض الحكم الاموي الى ازمة حقيقة مما دفع معاوية بن ابي سفيان لمصالحة الروم على مبلغ من المال يؤديه اليهم[١] ، وهذا من اخطر أثار الازمات الاقتصادية ان تفقد الدولة هيبتها ، وتتنازل عن مبادءها وتذهب للمصالة والاتفاق مع العدو ، بل وتدفع اليه الاموال من اجل تحصيل الرضا والقبول ، ومن ثم تفرغ معاوية بعدها لتصفيه خصومه ، وانهاء وتقليل الثورات المعارضه لحكمه وسياسته ، الا ان استمرار الفتن ولمدة خمس سنوات، قد افقد الدولة الناشئة هيبتها مما ادى ببعض الولايات البعيدة الى تنكرهم اتفاقيات الصلح مع معاوية وامتناعهم عن اداء المال المقرر عليهم الى بيت المال ،بعد ان شهدوا ظلم النظام الحاكم واستبداده ،وزادادت رقعة المعارضة وامتنع اهل الخراج في فارس وكرمان عن الطاعة وكسروا الخراج ، وامتنعت كل ناحية فيها واخرجوا عمال الخراج وتنكرت خراسان للاتفاقيات الموقعة مع المسلمين ،وامتنعت عن اداء ما عليها من اموال ونتيجه لذلك فقد تناقص دخل البصرة التي كان خراج المناطق الشرقية يؤول الى بيت مالها ، ولم يعد قادرا على دفع العطاء للمهاجرين الجدد .[٢]

وعلى الرغم من استئناف حركه الفتوح من جديد بعد استقرار الامور لمعاوية لمده تقرب من العشرين عاما، الا انها تباطأت من جديد بفعل حوادث الفتن الاخرى للمدة (٦٠ – ٧٣ هـ) ،ولربما لا نبالغ اذا قلنا إن الفتن والثورات التي شهدها النصف الثاني من القرن الاول الهجري ، في ولايات الدولة سيما العراق كانت خطرة على مؤسسة بيت المال واشد من الفتن والثورات التي شهدها النصف الاول من هذا القرن .[٣]

ففي زمن عبد الملك بن مروان حصدت الدولة الاموية نتائج هذه الفتن فتجلى ذلك ببروز ازمة مالية حادة وتناقص الواردات تناقصا ملحوظا ،ففي العراق ، مثلا بلغ ما انفقه الحجاج على بناء واسط وحرب ابن الاشعث خراج العراق لمده خمس سنين .[٤]

كما شهد العراق عدة ثورات أنهكت موارده الاقتصادية ،وكان ابرزها حركة ابن الزبير (١ هـ - ٧٣ هـ)، في الحجاز والعراق وثورة المختار ابي عبيد الثقفي (١ هـ / ٦٢٢ م - ٦٧ هـ/٦٨٦ م) في الكوفة ومعاركهم ضد المروانين بالشام، بالإضافة الى ماانفقته الدولة على حركات الخوارج مثل : الازارقة[٥] في منطقه البصرة وشبيب الخارجي[٦] في سواد الكوفة ،

---

[١] – الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص ١٤٨–١٤٩ .

[٢] – ابن الاثير ، الكامل في التاريخ، ج٣ ، ص٢١٧ .

[٣] – العلي ، التنظيمات ، ص ٣٦ .

[٤] – بخشل، اسلم بن سهل الرزاز الواسطي (ت ٢٩٢ هـ) ، تاريخ واسط ، تحقيق كوركيس عواد، ط١، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٠، ص ٣٩ .

[٥] –الأزارقة فرقة من فرق الخوارج، سميت باسم زعيمها نافع بن الأزرق ،و قالوا بكَفَرَ علي بالتحكيم وابن ملجم محق في قتله، وكانت ثورة الأزارقة في البصرة وما حولها ، أهم أسباب اضعاف الدولة الأموية، وقد أفضت إلى دخول الجند خراسانيين إليها وسقوطها في يد العباسيين.الطبري ،تاريخ الرسل والملوك ،ج٦،ص٣٢٦.

[٦] –شَبِيب الخارِجي (٢٦ هـ – ٧٧ هـ / ٦٤٧م – ٦٩٦م)، أحد كبار الثائرين على بني أمية، وهو شبيب بن يَزيد بن نعيم بن قيس الشيباني، أبو الضحاك، خرج في الموصل مع صالح بن مسرح على الحجاج الثقفي، فقتل صالح فنادى بالخلافة لنفسه فبايعه حوالى ١٢٠ شخصا، كاد

وكانت هذه الثورات سببا في احضار جيش شامي الى العراق وبناء مدينه واسط من واردات العراق .[١]

لقد كان لهذه الثورات تداعيات وانعكاسات خطيرة وسيئة على واردات بيت المال فقد انهكت النظام الاقتصادي للدولة الحاكمة والتي لم تكن تتورع او تكف لتغير سياستها وتقبل الطرف الاخر واعطاءهم حقوقهم المسلوبة ، فلو اخذنا ثورة ابن الاشعث إنموذجا لادركنا مدى ما كانت تحدثه تلك الثورات من فوضى تؤدي في اغلب الاحيان الى الحاق الضرر بإنظمة الري وتقلص العمارة في منطقه سواد الكوفة والبصرة ومنطقه البطائح ، فضلا عن تدمير مؤسسات الدولة حيث احرق الثوار الديوان ، واستولوا على اراضي الصوافي المسجلة فيه، كما إن الخوارج كانوا يقومون بجباية كثير من الاموال من السكان، وكان كثير من الفلاحين وبعض عمال الخراج ينضمون الى الخروج رغبة منهم في كسر خراجهم [٢] ، فضلا عما عما كان يرافق حركات التمرد والثورة من محاولات الاستيلاء على بيوت الاموال والمخازن اينما وجدت والاستيلاء على ما فيها من اموال عينية وقسمتها بين انصار الطرف الغالب ، وخاصة ان المبالغ التي كانت تحويها بعض بيوت الاموال هذه كانت تصل الى مقادير عظيمة وهائلة، ومما لاشك فيه إن ذلك كان يضعف من قدرات الدولة المالية. [٣]

المبحث الخامس: هجرة الفلاحين الى الامصار واثره على اقتصاد الدولة :-

ان هذه المشكلة كانت تضرب بجذورها الى ايام الفتح العربي الاسلامي ، وذلك بعد ان بدأ بعض اهالي السواد ينزحون عن قراهم الاصلية صوب الامصار(المدن الجديدة) ، غير ان مشكلة هجره الفلاحين كأحد الاسباب المهددة لخزينة بيت المال قد اخذت تطفو وتظهر بصورة واضحة منذ زمن الحجاج بن يوسف الثقفي ، حيث ظهرت المشكلة في الامصار [٤]، واستمرت هذه الظاهرة الى ايام عمر بن عبد العزيز ، وكان لظهور هذه الأزمة في البصرة اكثر منها من الكوفة ، وذلك صلة بظروف البصرة التي ساعدها على ان تكون نقطة جذب للمهاجرين الجدد وموقعها الاقرب للحجاز وبلاد فارس .[٥]

ولقد لحقت هجرة الفلاحين الاعاجم الى الامصار ، سيما في البصرة ضرراً بليغاً في البلاد بصورة عامة، وادت الى حدوث ازمة اجتماعية واقتصادية واضحة تجلت مظاهرها في تراجع

شبيب أن يهزم الحجاج لولا أن تدخل عبد الملك من الشام بجيش بقيادة سفيان بن الأبرد الكلبي، وفر شبيب ولكنه مات، وقيل غرقا.ابن كثير ، البداية والنهاية ،ج٩، ص٤٦٧.

[١] – البلخي، ابو زيد احمد بن سهل (ت ٣٢٢هـ) ، البدء والتاريخ، تحقيق : خليل عمران المنصور، ط١ ، دار الكتب العلميه ، بيروت ، لبنان ، ج٢ ، ص٢٥٦ .

[٢] – الذهبي، شمس الدين (ت ٧٤٨ هـ) ، سير اعلام النبلاء ، تحقيق : شعيب الارناؤوط ، واخرون ، مؤسسه الرساله ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٣هـ ، ج٥ ، ص٣٧٧ .

[٣] – ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٩، ٣٢٥–٣٤٥.

[٤]– البلاذري ، ابو الحسن يحيى بن جابر (ت٢٧٩ هـ) ، انساب الاشراف ،تحقيق : سهيل عمران المنصور، ط١، دار الكتب العلميه ، بيروت ، لبنان ، ج ٧ ، ص ٣٢٠ .

[٥] – جوده ، الفيء ، ص ١١٣ .

عمارة الريف وإدامة زراعته وكري سواقيه، و حرمت الاراضي الزراعية من الايدي العاملة فقل انتاجها وتدهورت اراضيها .[١]

وهذا الامر بطبيعة الحال إنعكس سوءً وأدى الى انخفاض مقدار الخراج ، بالاضافة الى ان معظم هولاء المهاجرين كانوا من الداخلين حديثا الى الاسلام وكانوا ما ينتمون غالبا مع الثوار والمعارضين لانهم لم يجدوا الحرية والعدالة المنشودة من الطبقة الحاكمة واعوانها ، ولهذا فقد كانوا عنصرا قلقا يهدد سلامه الدولة واقتصادها الهش .[٢]

وإزاء ذلك لم يكن امام الحجاج حيال هذه التطورات وماتحمله من انعكاسات خطيرة على واردات بيت المال، الا ان يتصدى لمعالجة ظاهرة انكسار الخراج التي نجمت عن هذة الهجرة التي وصفها بإنها غير شرعية - من وجهه نظر السلطة- ، ولم يكن الحل كما يفهم من خلال الاحداث الا بإبعاد المسلمين الجدد عن الامصار وإعادتهم الى قراهم ، فذكرت الروايات ان عمال الخراج كتبوا الى الحجاج ((ان الخراج قد انكسر وان اهل الذمة ، قد اسلمو ولحقوا بالامصار فكتب الى اهل البصرة وغيرها ان من كان له اصل في قريه فليخرج اليها))[٣]، وان الحجاج اخرجهم من البصرة والحقهم ببلادهم وارجعهم الى قراهم و فرض عليهم الخراج [٤]، ويظهر من خلال هذا الاجراء الذي اتخذه الحجاج انه كان محاولة لاعادة الايدي العاملة للارض ، كما يتضح انه كان اجراء معروفا وشائعا في ذلك الوقت فضلا عن تخلصه من خصومه السياسين واعوانهم ومواليهم وذلك بإبعادهم وتشتيتهم واضعافهم .[٥]

والامر الذي يلفت الانتباه ان الاضطراب في الروايات حول ما ذُكر عن الحجاج من انه ألزم الذين دخلوا الاسلام الجزية ، هو امر واضح وهو ناشيء عن خلط تلك الروايات بين قرار الحجاج الخاص بعودة اهل الذمة الى بلادهم [٦]، بقرار اخر ينص على اخذ الجزية ممن اسلم

---

[١] –العلي، صالح احمد ، التنظيمات الاجتماعيه والاقتصادية في البصره في القرن الاول الهجري ، مطبعه المعارف، بغداد ، ص ٨٤.

[٢] – طه ، عبد الواحد ذنون ، العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي ، ط١، مكتبه بسام ، الموصل ، العراق ، ، ١٩٨٥ ، ص١٨٨ .

[٣] – الطبري، محمد بن جرير (ت٣١٠ هـ) ، تاريخ الرسل والملوك، ط٣، دار الكتب العلميه ، بيروت ، لبنان ، ج٣ ، ص ٦٤٨ .

[٤] – الجهشياري ،محمد بن عبدوس (ت ٣٣١ هـ) ،الوزراء والكتاب ، تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الايباري ، ط١ ، مطبعه البادي الحلبي ، القاهره ، مصر ، ١٩٣٨ ، ص ١١٥ .

[٥] – كاتبي ، غيداء خزنه ، الخراج منذ الفتح الاسلامي حتى اواسط القرن الثالث الهجري ، ط١ ، مركز دراسات الوحدة العربيه ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٤ ، ص ١٣٩ .

[٦] – ابن الاثير ، عز الدين علي بن ابي الكرم (ت ٦٣٠ هـ) الكامل في التاريخ ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٩، ج٤ ، ص ٤٦٥ .

منهم[١] ، ومن خلال تتبع الروايات تبين ان الحجاج اخذ الجزية ممن اسلم بعد اعادتهم الى قراهم ، يتأكد ذلك تماما ان الحجاج لم ياخذهم بالجزية (ضريبة الرأس) ، بل اخذهم بالخراج ، وهذا يكشف الحال السائد في العراق انذاك من تدهور الاراضي الزراعية ، وتراجع حجم الانتاج وبالتالي لمقادير الخراج ، يؤكد ان حاجة للخراج اكبر من ضريبة الجزيه ، خاصة وان الرأي القائل بإن اسقاط الجزية عنهم بدخولهم الاسلام ، اثر وشكل ازمة كبيرة في بيت المال فيه مبالغة ، وذلك ان مايدفعه هؤلاء الفلاحون الذين اسلموا من جزية يعد قليلا جدا بالمقارنة مع حجم ما كان يرد الى خزينة الدولة من ضريبة الخراج وبالتالي فأن التاثير على بيت المال كان في نقص الخراج ،وذلك لتأخير عمارة الارض بسبب هجرتهم عنها .[٢]

وهكذا يتبين لنا ان تدهور الخراج وانكساره ، وارتباط ذلك بحالة الزرع ، وما رافقه من نقص في الايدي العاملة، وتراجع في حجم الانتاج بتاثير الهجرة ، وهو الذي جعل الحجاج يرسم سياسته القاضية بإرجاع الفلاحين الى قراهم وذلك من اجل القضاء على نتائج وتداعيات هذه الأزمة التي تمثلت بالهجرة على ماليه الدولة ، اما مايقال عن خوف الحجاج من نقصان وارد الجزية نظرا الى اسلام اهل الذمة ، فهذا الامر لم يكن بالحسبان عند الحجاج او الخلافة ، والا فما الذي يمنع الحجاج من فرض الجزيه (ضريبة الراس) على المسلمين الجدد في الامصار(المهاجرون) دون الحاجة الى اعادتهم الى قراهم ، اذن فهذه الأزمة كانت اكبر واعقد واخطر من كونها مسالة جزية رأس سواء فرضت بالفعل ام لم تفرض[٣]، وكان بمكان الخلافة وولاتها ان تقدم حلولا ناجحة وجذرية للمسألة من الجباية اليسرة وملاحظة كمية الناتج وتقديم القروض لاصحاب الاراضي والمزارعين ، ومساءلة التوزيع العادل للاموال والثروات المستحصلة من الموارد الاخرى ، واشراك التجار في حل هذه الأزمة بتقديم لهم تسهيلات خاصة مقابل مساعدتهم للمزارعين وامور اخرى كثيرة اكد عليها الاسلام وفصلها في نواحي عدة .

لم تقتصر التدابير المتعلقة بمعالجة ازمة هجرة الفلاحين الى الامصار على البصرة او العراق وحدها ، وانما يتضح انها جزء لايتجزأ من خطة اتبعتها الدولة الاموية ، وقررت تطبيقها وفرضها عل جميع الامصار لمقاومه الأزمة التي حدثت والتي تجسدت بحركة الهجرة ، ففي مصر تشير اوراق البردي الى ان قره بن شريك(٩٠-٩٦هـ/٧٠٩-٧١٤ م) [٤] ، كان يرسل الى اصحاب الكور يأمرهم فيها بالالتزام بأوامر الدولة وتعليماتها الخاصة بمقاومة الجلاء عن الارض ، وعدم ايواء الفلاحين المهاجرين ، واعادتهم الى مناطقهم التي جلو عنها ، وفي محاولة منه لتدعيم تنفيذ القرارات السابقة اصدر قره بن شريك امرين احدهما بمعاقبه

---

[١] – ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله (ت ٢٥٧ هـ) فتوح مصر واخبارها ، تحقيق محمد الحجيري ، ط١ ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٦ ، ص ٢٧٢ .

[٢] – جوده ،الفيء ، ص ١١٥ .

[٣] – كاتبي ، الخراج ، ص ١٤١ .

[٤] – قُرَّة بْن شَريك بْن مُرثد وليَ مصر من قبل الوليد وكان عَلَى صلاتها وخراجها،سنة ٩٠هـ، وبدأ أعماله بأن أقرَّ عبد الأعلى بن خالد صاحب الشرط على عمله، وطلب إلى عبد الله بن عبد الملك الخروج من مصر، خرج عبد الله بما يملك من مال وذخائر، ولكن رسل الوليد بن عبد الملك اعترضوه عند وصوله إلى الأردن، واستولوا على ما معه من أموال،توفي عام ٩٦ هـ.الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج٤، ص٤١٠.

المخالفين وتغريمهم ماليا اما الامر الاخر فينص على مسانده الفلاحين ومساعدتهم عن طريق دفع نفقه شهر كامل تشجيعا على اعاده بناء حياتهم من جديد .[١]

وعندما جاء اسامة بن زيد التنوخي (٩٦-٩٩هـ /٧١٤-٧١٧م) تابع جهود قره بن شريك ، للحد من الهجرة الى الامصار ، فأصدر امرا جديدا منع فيه الفلاحين من الترهب ، ذلك ان الرهبنة على ما يبدو وسيله للهروب من دفع الضرائب (جزيه وخراج) ، وعلى الرغم من كل هذه التدابير والاجراءات التي اتخذتها الدولة الاموية ، الا ان هذه الأزمة التي تمثلت بهجرة الفلاحين الى الامصار لم تتوقف بل استمرت معها انكسار الخراج وتراجعه [٢]، وفي ايام عمر بن عبد العزيز ظهرت بشكل ملحوظ في البصرة فقد كتب عمر الى عدي بن ارطأة : " اما بعد فأحص اهل المسكنة بالبصرة ، واكتب الي بعدتهم ان شاء الله ، فأحصاهم فبلغوا ثلاثين الفا وتسعمائة وخمسة عشر انسانا فكتب الى عدي يأمره ان يعطي كل انسان جريبا في كل شهر من طعام كسكر والسواد اذا قدم عليه بالطعام))[٣] ، ولعل القسم الاكبر منهم من المهاجرين عند العرب كما يلاحظ ان هجرة الفلاحين قد اثرت على وارادات بيت المال في الكوفة بين الهجرة وظاهرة انكسار الخراج ، وحاول معالجة هذا الامر بإستصفاء اراضي الفلاحين المهاجرين، فكتب الى عمر بن عبد العزيز " ان قوما من اهل الخراج كانو اذا ارادو كسر خراجهم جلو من ارض الى اخرى واني امرت ان تجعل ارض من جلا صافيه وارجو ان يتركوا بذلك عادتهم ان شاء الله))[٤] ولكن الخليفة عارض هذا الراي ولم يوافقه .

والظاهر ان عمر بن عبد العزيز لم يقف امام تزايد ظاهره الهجرة كما صنع الحجاج والولاة بل انتهج خطه جديدة تقضي بعدم تقييد حركة الفلاحين والزراع من اهل الذمة، كما اكد حق من يسلم في الهجرة الى الامصار ومسؤولية الذمي المسلم بالنسبة الى ارض الخراج .[٥]

ويبدو ان خطه عمر بن عبدالعزيز الجديدة في السماح بالهجرة وعدم الوقوف امامها كانت تنطلق من منطقات دينيه صرفة فقد كتب اليه عامله يشكو اليه خوفه من قله الخراج بسبب تزايد هجره الفلاحين نتيجه اسلامهم [٦] ،قائلا : اما بعد فان الناس قدكثرو في الاسلام وخفت ان يقل الخراج" فاجابه عمر " والله لوددت ان الناس كلهم اسلمو حتى نكون انا وانت حراثين ناكل من كسب ايدينا.

---

[١]- كاتبي ، الخراج ، ص ١٤١ .

[٢] – اليعقوبي ، احمد بن ابي يعقوب (ت ٢٩٢ هـ)، تاريخ اليعقوبي،دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ج ٢ ، ص ٢٩١ .

[٣] – اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي، ج ٢ ، ص ٢٩١ .

[٤] – كاتبي ، الخراج ، ص١٤١ .

[٥] – الاصبهاني ، احمد بن عبد الله (ت ٤٣٠ هـ) حليه الاولياء وطبقات الاصفياء ،دار الكتب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، ج٥، ص ٣٠٥ .

[٦] – ابن ابي الحكم ، سيره عمر ، ص٩٣ – ٩٤ .

ودعا الى حسن المعامل مع المسلمين الجدد في الامصار ومساواتهم بباقي المسلمين في الحقوق [١]، ويظهر ان بعض المهاجرين كانوا يدعون دخولهم الايسلام تهربا من الجزية كما بين ذلك عدي بن ارطأة لعمر بن عبد العزيز[٢]، مما دفع ذلك بعمر بن عبد العزيز الى الاعفاء من حفظ القران وختمه وعرف الصلوات واوقاتها من الجزية فقط .[٣]

المبحث السادس : اسلام اهل الذمة وأثاره المالية :-

تعود جذور هذه المشكلة الى خلافة عمر بن الخطاب فكانت خطة الخلافة تقضي بإن اعتناق الاسلام يحرر من كل التزام في دفع الجزية ، فيتحول الذمي المسلم بذلك الى دافع صدقة ، وبالرغم من ان هذا الاجراء سوف يؤول الى التسريع في تطبيق خطة الخلافة نحو اسلام المجتمعات المفتوحة ولكنه سيحول دون الانتباه الى الاثار السلبية لهذا الاجراء على واردات بيت المال ، ولما لم يكن دافعوا الضرائب في عهد عمر قد دخلو بعد في الاسلام بعدد كبير يتأثر به بيت المال فان الخلافة [٤]، لم تشعر بنتائج واثار هذا الاجراء ، ذلك ان تلك الخزانة كانت عامرة حتى تكاد تفيض من غنائم ، بالاضافة الى ان ماكان يتطلب من خزانة بيت المال وهو اقل بكثير مما طلب منها فيما بعد [٥]، واشار اليعقوبي[٦] الى ان جباية مصر وانها قد انخفضت في خلافة معاوية عما كانت عليه في خلافة عثمان بفعل اسلام اهل الذمة وبمقدار سبعة ملايين دينار ، وفي كل الاحوال فقد كان مردود تلك الاجراءات سيئا على بيت المال .

ولما جاء الامويون في بادىء الامر اعفوا الداخلين في الاسلام من الجزية ،والخراج اول الامر ، ولكنهم لاحظوا تقلص الوارد تدريجيا نتيجة انتشار الاسلام وتقلص الاراضي الخراجية التي صارت تتحول الى عشرية بامتلاك العرب لها وتقلص اراضي الدولة الصوافي بفعل الهبات الكثيرة ، فقاموا بتثبيت الخراج على من يدخل الاسلام وعدم اعفاء الداخل في الاسلام من كامل التزاماته الضريبية .[٧]

كما رجعوا الى العرف المحلي فاحيوا بعض الضرائب المهملة والقديمة مثل : هدايا النيروز والمهرجان والضرائب على الحرف والمصنوعات، ولكن هذا لم يحل الأزمة ، فحاول الحجاج

---

[١] – طه ، العراق ، ص ١٩٣ .

[٢] – ابو عبيد ، القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) الاموال ، تحقبق محمد خليل هراس ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان، ١٩٨٤ ، ص ٥٧ .

[٣] – البلاذري ، انساب ، ج٨ ، ص ١٤٨ .

[٤] – الدوري ، عبد العزيز ، مقدمه في التاريخ الاقتصادي العربي ، دار الطليعه للطباعه والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ص١٦ .

[٥] – فلهاوزن ، لويس ، تاريخ الدولة العربيه وسقوطها ، تعريب ، يوسف العش ، مطبعه الجامعه السوريه ، دمشق ، ١٩٥٦ ، ص ٢٢٣ .

[٦] – اليعقوبي ، البلدان ، ص ١٧٢ .

[٧] – جودة ، الفي ، ص ٧٧ .

معالجتها، بإن استمر بفرض الجزية والخراج على المسلمين الجدد ويفرض الخراج على العرب الذين يمتلكون ارض خراجية – كما تقدم- .[١]

وفي بعض الامصار إتضحت مشكلة اسلام اهل الذمة بتاثيراتها السلبية على بيت مال المصر ، اكثر من ايه امصار اخرى ففي الكوفة مثلا : يفهم من روايات علمائها وفقهائها ومورخيها بان تاثير الاسلام اهل الذمه على واردات بيت مال الكوفة [٢]، كان كبيرا لذا بحث علماء الكوفة هذه المشكله اكثر من غيرها[٣]، مما دعا علماء الكوفة الى تاييد وجهة نظر الدولة او اجراءاتها في حمايه مال الفيء من التراجع وذلك بعدم السماح بتحويل ارض الخراج الى ارض عشرية في حال اسلام مالكيها من اهل الذمة .[٤]

اما في البصرة فقد ظهرت الأزمة ذاتها ، ولكن على وتيرة اقل ، فلم يتطرق علماء البصرة وفقهائها لذلك الموقف ، وذلك لارتباط تاريخ البصرة المالي ووضعها الاقتصادي مع فتوحات المشرق ونشاط الحركة التجارية المتميزة ، الذي در على بيت مالها وبشكل متواصل اموالا طائلة ، اي ان مال الفيء كان متوفرا ويغطي نفقات ديوان الجند، ويبدو ان هذا الوضع سمح بإستمرارية اعفاء الذمي في حالة اسلامه من جزية راسه وخراج ارضه في بدايه الامر، ولم تحصل معارضه على ذلك من قبل الادارة الاموية .[٥]

ويبدو ان هذا الموقف قد تغير بعد انشاء ديوان الجند خاص بخراسان سنة

(٥١هـ/ ٦٧١م) مما حرم بيت مال البصرة من اموال الفيء الكثيرة ، وهكذا بدأ يتأثر بيت المال البصرة ، حتى ان وارداته لم تعد تكفي سد حاجات ديوان الجند في نهاية حكم آل سفيان، الامر الذي دفع عمال البصرة الى ان يبعثوا للحجاج حول اسلام اهل الذمة وكسر خراج البصرة، ولم يعد فيئها يكفي نفقاتها ، لذا قام الحجاج بمعالجه هذه المشكلة بمحاولته ارجاع الفلاحين الى اراضيهم وفرض الخراج عليهم .[٦]

اما في مصر فهناك اشارات دالة على ظهور عجز مالي فيها ، ومنها: ان معاويه قد طلب من عمرو بن العاص ان يدفع اليه خراج مصر لسنة واحدة حتى يتمكن من دفع اعطيات من يأتيه زائرا من الحجاز والعراق وذلك بسبب استنفاذ ما فضل لديه من اعطيات الجند ، كما طلب من عامل االخراج بمصر ان يزيد على كل رجل من اهل الذمة قيراطا ، ولما لم يمتثل هذا العامل بهذا الامر مستنكرا الزياده قام معاوية بعزله ، وفي عهد عبد الملك بن مروان ، قيل انه كتب الى والي مصر اخيه عبد العزيز بن مروان ان يضع الجزية على من اسلم من اهل الذمة فكلمه ابن حجيره (٨٣هـ) في ذلك ، وقال له: ((اعيذك بالله أيها الامير ان تكون

---

[١] – الدوري ، مقدمه في تاريخ صدر الاسلام ، ص ٧٨ .

[٢] – القرشي ، يحيى بن ادم ،(ت ٢٠٣ هـ) الخراج ، تحقيق : احمد محمد شاكر ، دار المعرفه ، بيروت ، لبنان ، ص ٦٠ .

[٣] – البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٦١.

[٤] – البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٤٠٠ .

[٥] – جوده ، الفي ، ص٨٤ .

[٦] – المبرد، محمد بن زيد النحوي (ت ٢٨٥ هـ) الكامل في اللغه والادب ، ط١ ، دارالفكر ، بيروت، لبنان ، ج٢ ، ص ٣١٤ .

اول من سمى ذلك بمصر)) [١]، وهذا بالطبع ان دل على شيء فإنما يدل على بدء تأثر خزينة بيت المال في مصر جراء تتابع اهل الذمة على الاسلام ودخولهم فيه افواجا ، ومما يوكد هذا التأثر ، ويكرس هذا العجز المال الذي ذكره المقريزي[٢] من ان حيان بن شريح والي مصر في خلافة عمر بن عبد العزيز ، كتب اليه يشكوا من الضرر الذي لحق باحد اهم الموارد (الجزيه) التي كانت تغذي بيت مال مصر جراء إعفاء اهل الذمة منها قائلا: ((اما بعد فان الاسلام قد اضر بالجزيه حتى اسلفت من الحارث بن نابته عشرين الف دينار اتممت بها عطاء اهل الديوان)) [٣]،وكانت الجزية عندهم بمنزلة الضرائب على العبيد وقالوا : لا يسقط اسلام العبد عنه ضريبته ولهذا السبب استجاز من استجاز من القراء من الخروج عليهم[٤]، ولكن غياب الاحصائيات المتعلقه بموارد الدولة سنة بسنتها جعل الحديث عن تقدير العجز المالي بالارقام امرا عسيرا .[٥]

المبحث السابع : الكوارث الطبيعية والاوبئة وتأثيرها على ورادات بيت المال :-

وكانت هناك اسباب اخرى أثرت سلبا على مال الفيء ، منها: ارتباط انتاج الاراضي بكميات الامطار الساقطة وبمنسوب المياه في الأنهار وهذه الامطار ومناسيب المياه كانت تختلف من سنة لاخرى [٦]، كما إن الاوبئة والكوارث [٧]، الطبيعية مثل : الطواعين والآفات الزراعية ومواسم القحط وهجوم الجراد ، كانت قد أثرت على مستوى الانتاج والايدي العاملة ، وإنعكس على واردات بيت المال ، وسجلت كتب التراث بعضا من هذه الامور ففي عام (٦٩هـ/٦٨٨م) حدث الطاعون الجارف الذي اكتسح البصرة ، فقضى على كثير من اهلها مما ادى الى نقص شديد في الايدي العاملة ، وكانت تصيب المحاصيل الزراعيه احيانات بعض

---

[١] – الدينوري ابو حنيفه احمد بن داوود (ت ٢٨٢ هـ) الاخبار الطوال ، تحقيق: عمر فاروق الطباع (د. ط) دار الارقم ، بيروت ، لبنان ، ص ٢٠٦ .

[٢] – المقريزي ، خطط ، ج١ ، ص١٤٧ .

[٣] – المقريزي ، خطط ، ج١ ، ص١٤٧ .

[٤] – المقريزي ، تقي الدين احمد بن علي (٨٤٥ هـ) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار ، تحقيق : خليل منصور ، ط١ ، دار الكتب العلميه ، بيروت ، لبنان، ١٩٩٨ ، ج ١ ، ص ١٤٧ .

[٥] – ابن قيم الجوزيه ، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن ابي بكر (ت ٧٥١ هـ)، احكام اهل الذمه ، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد ، ط١ ، دار الكتب العلميه ، بيروت ، لبنان ، ج ١ ، ص ٩٥ .

[٦] – جوده ، الفيء ، ص ١٤ .

[٧] – بطاينه ،محمد ضيف ، الحياه الاقتصاديه في العصور الاسلاميه الاولى ، دار الكندي ، اربد الاردن ،د. ت ، د. ط . ، ص١٩٢ .

الافات الزراعيه او الفيضانات فقضت على محصول ذلك العام مما إضطرت الدولة الى اسقاط الخراج عن إصاحبها .[١]

وقد تم ذلك في زمن هشام بن عبد الملك اذ ورد في خطبه لابي حمزة الخارجي في اهل المدينة : ((يا اهل المدينة مرت زمان الحول هشام بن عبد الملك وقد أصاب ثماركم عاهه فكتبتم اليه تسالونه إن يضع عنكم خراجكم ففعل فزاد الغني غنى والفقير فقرا)) .[٢]

وكان القحط من العوامل التي إستنزفت موارد الدولة المالية ففي عام الرماده (١٧- ١٨هـ/ ٦٣٨-٦٣٩م) احتاج المسلمون في الحجاز الى الطعام الذي حمل لهم من مصر، وقد تكرر القحط في زمن الحجاج[٣] ،وكذلك من الازمات التي ظهرت في العصر الاموي حيث ذكرت المصادر ظهور طاعين وانتشارها في بلاد الشام خاصة والبلاد الاسلامية الاخرى ، ففي عام ١١٥هـ في خراسان فكتب الجنيد الى الكور بحمل الطعام الى مرو وكان الهجوم على المحاصيل من الاسباب التي كانت تؤدي الى القحط ، فقد كتب قتيبة بن مسلم الى الحجاج كتابا يشكوا كثرة الجراد وذهاب الغلات وما حل بالناس من القحط ، فما كان من الحجاج الا إن امره بإستثناء الضعفاء من مسؤولية تراجع الخراج فقال: اذا ازف خراجك فانظر لرعيتك في مصالحها، فبيت المال اشد اطلاعا لذلك من الارمله وذي العيلة .[٤]

ومن المشكلات التي كانت تثقل كاهل الدولة بين الحين والآخر مايطلق عليها سنة الازدلاف [٥]، وأشار القلقشندي الى ماهية هذه السنة : ((كانوا في صدر الاسلام يسقطون عند راس كل ثلاث وثلاثين سنة عربية سنة يسمونها سنة الازلاف ، لان كل ثلاث وثلاثين سنة عربية اثنتان وثلاثون سنه شمسيه تقريبا))[٦]، لان السنة القمرية الهلالية تتداخل في السنة الشمسية للاختلاف بينهما في عدد الايام فكل ثلاث وثلاثين هلالية تعادل بالتقريب اثنتين وثلاثين سنة شمسية والفرق بينهما سنة ، وهنا الدولة كل ثلاثة وثلاثين سنة ، ستتحمل وتواجه عجز مقداره الاموال اللازمة لتغطيه نفقات سنة كاملة وسببها سنة الازدلاف[٧] ، ونجد سني الازدلاف في عهود ثلاثة من خلفائها ، وهي كما يلي عام (٤٣ هـ - ٦٦٣م) ويقع في خلافه معاوية بن ابي سفيان ، وعام (٧٦هـ / ٦٩٥م) ويقع في خلافة عبد الملك بن مروان ، وعام (١٠٩ هـ -

---

[١] – الاصفهاني، ابو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦ هـ) ، الاغاني، تحقيق : عبد الامير علي مهنا واخرون ، د. ط، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ج١٢ ، ص ٣٨٦ .

[٢] – ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج٥ ، ص ٣٨٩ .

[٣] – العسكري ، الاوائل ، ص ١٢٦ .

[٤] – ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج٥ ، ص ٣٨٩ ؛ العسكري ، الاوائل ، ص ١٢٦ .

[٥] – ابن عبد ربه ، شهاب الدين احمد بن محمد(ت٣٢٨ هـ) العقد الفريد ،تحقيق : محمد عبد القادر شاهين، ط٢ ، المكتبة العصريه ، صيدا ، بيروت، ١٩٩٩، ج٤ ، ص ٢٦٣ .

[٦] – القلقشندي ابو العباس احمد بن علي (ت ٨٢١ هـ)، صبح الاعشى في صناعه الانشا ، تحقيق يوسف علي الطويل ، ط١ ١٩٨٧م ، ج٢ ، ص ، ٤٢٦ .

[٧] – بطاينه ، الحياه ، ص ١٩٥ .

٧٢٧ م) ويقع في خلافة هشام بن عبد الملك [١]، إن المتتبع للتأريخ المالي لعهود هؤلاء الخلفاء الثلاث يستنتج انهم قاموا بتدابير لشد الأزمة المالية وتقويه مواردهم مما يشعر بحاجه الدولة في زمنهم الى المال .

الخـــــــاتـمـــة :-

لقَدْ اهتم المؤرخون العرب المسلمون بوصف الازمات، والسبب ربما لأنها هي تشكل خطر كبير على الدولة وسبب في انهيارها.

ان التباين والاختلاف الواضح في النصوص عند استعراضهم ووصفهم لبعض الازمات ، فضلاً عن وجود المبالغة عند بعضهم عند عرض معلوماته ، وبعض المعلومات كانت غزيرة في جانب ، وقليلة جداً في جانب آخر .

وقد شكل الفساد الاداري والمالي عاملا مهما لحدوث ازمات مالية كبيرة ، فلم يتورع الحكم الاموي عن الاختلاسات والسرقات المتكررة والكبيرة ، وكان نتيجتها ظهور الملكيات الخاصة والتي اثرت سوء على النظام الاجتماعي في تكوين الطبقية وازدياد نسبة الفقر والمشاكل الاقتصادية والاجتماعية على حد سواء ،هذا فضلا عن اندلاع الفتن والثورات وما اعقبته من خسائر جسيمة في الارواح والاموال ، كما كان لاسلام اهل الذمة اثرا على قلة واردات اقتصاد الدولة مما ادى الى عدم اعفاءهم من دفع الخراج والجزية مع اسلامهم ، فضلا عن هجرة الفلاحين الى الامصار مما سبب في قلة الانتاج الزراعي وخراب الاراضي وتدهور السوق وعدم توازنه ، وان مااتخذته الدولة من اساليب مانعة ورادعة في ارجاعهم الى قراهم واراضيهم الا ان المشكلة لم تعالج بطرق سليمة وجذرية مما استمرت الازمات وتفاقمت مع الإوبئة والكوارث الطبيعية ، مثل : الطواعين والافات الزراعية ومواسم القحط وهجوم الجراد التي واجه العالم الإسلامي فيها أزمات اقتصاديَّة في فترات عديدة ، ان أثرت سلبا على مستوى الانتاج والايدي العاملة وكان ذلك ينعكس على واردات بيت المال ، وقد بحثت الدولة عن الحلول إبَّان الأزمات الاقتصادية، الا ان الوسائل المتوافرة لمواجهة تلك الأزمات كانت محدودة، وسيطرة الإنسان على بيئته المناخيَّة وما يتعرَّض له من جفافٍ وقحط ، أو فيضانات وأوبئة وطواعين كانت قليلة نوعا ما ، فضلاً عن كثرة الحروب والفتن، وقلَّة التعاون بين الأمم والشعوب وصعوبته في ذلك العصر للتغلُّب على مثل تلك الكوارث والأزمات.

وقد حاولت الدولة الاموية وسعت بطرق ووسائل عدة للسيطرة والحد من هذه الازمات ، الا انها لم تكن في اغلب العهود حلولا ناجعة وجذرية، فسعت الى المصادرات للوزراء وكبار رجالات الدولة تارة ، والى قطع العطايا عن فئات واسعة مثل العلويين واتباع اهل البيت عليهم السلام بحجة كونهم معارضين للسلطة الحاكمة تارة اخرى ، الا ان ذلك لم يسد النقص الكبير في ورادرات بيت المال فأصيب بالعجز وتدهورت اوضاع البلاد الاقتصادية، لذلك نلحظ استمرار الازمة الاقتصادية وتفاقمها سنة بعد اخرى وتناقص واردات بيت المال وبصورة سريعة وكبيرة ، خصوصا مع سوء السياسة المالية للدولة الاموية وعدم عدالة توزيعها للاموال واستثارها للاموال العامة دون ايجاد طرقا خاصة للاستثمار والبناء والتنمية الاقتصادية المستديمة والاقتصاد المتوازن والمستقر.

قائمه المصادر والمراجع

*** القران الكريم .**

- المصادر:-

---

[١] – بطاينه ، الحياه ، ص ١٩٧ .

-ابن الاثير،عز الدين بن ابي الكرم (ت٦٣٠ هـ) .

١-الكامل في التاريخ ، دار صادر، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٩ .

- البلخي ، ابو زيد احمد بن سهل (ت ٣٢٢هـ) .

٢- البدء والتاريخ ، تحقيق :خليل عمران المنصور، ط١، دار الكتب العلميه ، بيروت ، لبنان .

- البلاذري ، ابو الحسن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ)

٣ – انساب الاشراف، تحقيق: سهيل عمران المنصور، ط١، دار الكتب العلميه، بيروت ، لبنان .

-بخشل ، اسلم بن سهل الرزاز الواسطي ،(ت ٢٩٢ هـ)

٤- تاريخ واسط ، تحقيق : كوركيس عواد، ط١ ،عالم الكتب، بيروت ،لبنان ، ١٩٨ .

- الجاحظ ، عمرو بن بحر(ت ٢٥٥هـ)

٥-البيان والتبين، دار الكتب العلميه، بيروت ، لبنان .

- الجهشياري ، محمد بن عبدوس (ت ٣٣١ هـ)

٦-الوزراء والكتاب ، تحقيق : مصطفى السقا وابراهيم الايباري ، ط١، مطبعه البادي الحلبي ، القاهرة ، مصر ، ١٩٣٨ .

- الدينوري، ابو حنيفه احمد بن داؤد (ت ٢٨٢هـ)

٧- الاخبار الطوال ،تحقيق :عمر فاروق الطباع ، دار الارقم ،بيروت ، لبنان .

- الذهبي، شمس الدين ، (ت ٧٤٨ هـ)

٨- سير اعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الارناؤوط واخرون، مؤسسه الرساله ، بيروت، لبنان ، ١٤١٣ هـ.

-السرخسي ، شمس الدين محمد احمد بن احمد (ت ٤٩٠ هـ)

٩-الطبقات الكبرى ، مراجعه وتعليق سهيل كيالي، ط١، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ،١٩٤٩ .

-الاصفهاني، ابو الفرج، علي بن الحسين (ت ٣٥٦ هـ)

١٠-الاغاني ، تحقيق: عبد الامير علي المهنا واخرون ،دار الفكر، بيروت، لبنان .

- الاصبهاني ، احمد بن عبد الله(ت ٤٣٠ هـ)

١١-حليه الاولياء وطبقات الاصفياء، دار الكتب اللبناني، بيروت.

- الطبري ، محمد بن جرير (ت٣١٠ هـ)

١٢- تاريخ الرسل والملوك ، ط٣ ، دار الكتب العلميه، بيروت، لبنان .

- ابو عبيد، القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ)

١٣ -الاموال، تحقيق: محمد خليل هراس، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٤ .

-ابن عبد ربه ، شهاب الدين(٣٢٨ هـ)

١٤-العقد الفريد، تحقيق:محمد عبد القاد شاهين ، ط٢ ، المكتبه العصريه ، صيدا ، بيروت، ١٩٩٩.
-العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهيل (ت ٣٩٥ هـ)
١٥- الاوائل، تحقيق: عبد الرزاق غالب مهدي ، ط١ ، دار الكتب العلميه ، بيروت ، لبنان ، ٩٩٧ .
-ابن عساكر، ابو القاسم علي بن الحسن بن هبه الله الشافعي(ت ٥٧١ هـ) .
١٦-تاريخ مدينه دمشق،تحقيق : محب الدين ، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٩٥ .
-الفيروز ابادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب .
١٧-القاموس المحيط ، مصر، دار الجيل، ١٩٥.
-ابن قدامه، ابو الفرج البغدادي (ت ٣٢٨هـ)
١٨-الخراج وصناعه الكتابه ،تحقيق: محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد للنشر، بغداد، العراق ، ١٩٨.
- القرشي ،يحيى بن ادم (ت٢٠٣ هـ)
١٩-الخراج، تحقيق : احمد محمد شاكر، دار المعرفه ، بيروت ، لبنان .
-ابن قيم الجوزيه ،شمس الدين ابو بد الله محمد بن ابي بكر(ت ٥٧١هـ)
٢٠-احكام اهل الذمه ، تحقيق :طه عبد الرؤوف سعد ،ط١، دار الكتب العلميه ، بيروت ، لبنان .
-القلقشندي ، ابو العباس احمد بن علي (ت ٨٢١ هـ)
٢١-صبح الاعشى في صناعه الانشا، ط١، تحقيق: يوسف علي الطويل، ١٩٩٧ .
-المنقري ، نصر بن مزاحم (ت ٢١٢هـ)
٢٢-وقعه صفين ،تحقيق:عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٠ .
-ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين (ت٧١١هـ)
٢٣-لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان.
-المبرد ،محمد بن زيد النحوي (ت٢٨٥ هـ)
٢٤-الكامل في اللغه والادب ، ط١ ، دار الفكر العربي، بيروت ، لبنان .
- اليعقوبي ، احمد بن يعقوب (ت ٢٩٢ هـ)
٢٥-تاريخ اليعقوبي ، دار صادر، بيروت ، لبنان .
-ياقوت الحموي ، شهاب الدين ابو عبد الله (ت ٦٢٦هـ)
٢٦-معجم البلدان ، ط٢، دار صادر، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٥ .

- **المراجع :-**

-بطاينه ، محمد ضيف .

٢٧-الحياه الاقتصاديه في العصور الاسلاميه الاولى ، دار الكندي، اربد ، د. ت .

- جودت ،جمال

٢٨-الفيء بين الصلح والعنوه في صدر الاسلام، مجله النجاح للابحاث ، جامعه النجاح الوطنيه ، نابلس ،. فلسطين ،عدد ٩ ، ١٩٩٥ .

- الدوري، عبد العزيز

٢٩-مقدمه في التاريخ الاقتصادي العربي، دار الطليعه للطباعه والنشر ، بيروت، لبنان .

-الرازي،محمد بن ابي بكر (ت ٦٦٦هـ)

٣٠-مختار الصحاح، تحقيق محمد فاطر، الهيئه المصريه للكتاب ، ١٩٧٦ .

- الزبيدي ،محمد مرتضى

٣١- تاج العروس من جواهر القاموس ، بيروت ، دار مكتبه الحياه ،

- طه ، عبد الواحد ذنون

٣٢- العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي ، ط١ ، مكتبه بسام ، الموصل ، العراق ، ١٩٨٥ .

- العلي ، صالح احمد

٣٣-التنظيمات الاجتماعيه والاقتصاديه في البصره في القرن الاول الهجري، مطبعه المعارف ، بغداد .

- علي ، جواد

٣٤-المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ط١، دار العلم، بيروت، مكتبه النهضه، ١٩٧ .

-ابن فارس ، احمد بن زكريا

٣٥- معجم مقاييس اللغه ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر االعربي ، ١٩٧٩ .

- فلهاوزن ، لويس

٣٦- تاريخ الدولة العربيه وسقوها، تعريب : يوسف الغش، مطبعه الجامعه السوريه، دمشق ، ص ١٩٦٥.

-كاتبي ، غيداء خزنه

٣٧-الخراج من الفتح الاسلامي ، حتى اواسط القرن الثالث الهجري ، ط١، مركز الدراسات الوحده العربيه، بيروت، لبنان ، ١٩٩٤ .